

الحلقة التاسعة والثلاثون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء الماضي بالأمثال التي تحدثت عن الرجل الظالم الذي يغوي صاحبه، وفاعل الشر الذي يحب الإصغاء إلى الإثم. وتكلمنا بالتفصيل عن أهمية بطء الغضب، وكيف أن بطيء الغضب هو خير من الجبار وممن يأخذ مدينة. وتحدثنا عن كيفية ضبط نفوسنا أثناء الغضب.

ما هو أفضل بالنسبة لك يا صديقي أن تكون فقيراً وتعيش بهناء وسلام مع أفراد عائلتك؟ أم أن يكون عندك الكثير وتعيش في حالة خصام وشجار دائم مع أهل بيتك؟ أجابنا سليمان الحكيم عن هذه التساؤلات الهامة بالمثل التالي: "لَقَمَةٌ يَابِسَةٌ وَمَعَهَا سَلَامَةٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَلآنٍ ذَبَائِحَ مَعَ خِصَامٍ". (أمثال ١٧: ١) فبحسب هذا المثل أن يكون الإنسان فقيراً ويوجد عنده القليل من الطعام، لكنه يعيش في هناء وسلام مع أفراد عائلته، هو أفضل بكثير من أن يكون بيته مليئاً بالطعام، ويعيش في حالة خصام وشجار معهم.

والسبب واضح إذ من الأفضل جداً أن يعيش الإنسان في وئام وسلام مع أفراد عائلته ولو كان فقيراً معدماً، على أن تكون حياته مليئة بالخصام والشجار، برغم غناه الجزيل. إن المودة والسلام مع الآخرين هما الأساس في راحة البال وهناء النفس وليس المال الوفير. أو ليس هذا ما تؤكد يا صديقي كل الدراسات الاجتماعية والنفسية الحديثة؟ فأن يتمتع الإنسان بالهناء هو الأمر المهم، وليس ملكه للأموال الكثيرة. وكم من إنسان غني يملك الكثير لكنه يعيش حياة مليئة بالبؤس والشقاء. وفي المقابل كم إنسان معدم فقير يعيش حياة الاكتفاء والسعادة.

ما هي ركائز المحبة يا صديقي؟ وعندما تكون المحبة هي الأساس في علاقتنا مع الآخرين كيف نعاملهم؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل المعبر: "مَنْ يَسْتُرْ مَعْصِيَةَ يَطْلُبُ الْمَحَبَّةَ وَمَنْ يَكْرُرُ أَمْرًا يَفْرَقُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ". (أمثال ١٧: ٩) عندما تكون المحبة هي الأساس في علاقتنا مع أي شخص، لا ننظر إلى عيوبه أو حتى إلى أخطائه، أليس هذا صحيحاً؟ ولهذا أتى هذا المثل ليقول: أن من يغطي معاصي أو أخطاء شخص ما، فهو إنما ينشد المحبة لكي تكون هي الأساس في علاقته معه.

وفي هذا الصدد كتب الرسول بولس عن صفات المحبة قائلاً: "المحبة تتأني وترفقُ. المحبة لا تحسدُ. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبّح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتدُّ ولا تظنُّ السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء. المحبة لا تسقط أبداً." (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٣: ٤-١٨)

لنلاحظ أن من بين صفات المحبة التي ذكرها الرسول بولس هي أن المحبة لا تقبّح ولا تظنُّ السوء ولا تفرح بالإثم، وأنها تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء. أو بكلمات أخرى إن المحبة الحقة تغطي معاصي الآخرين، وتحاول أن تقبلهم حتى ولو وقعوا في الخطأ. فهل تحاول يا صديقي أن تجعل المحبة هي التي تسود علاقاتك مع الآخرين وأن تغطي بالتالي أخطائهم؟ أم أنك تفعل كما قال المثل في الجزء الثاني منه عندما قال: "ومن يكرر أمراً يفرق بين الأصدقاء"، أي أن تظهر عيوب الآخرين وتفرق بين الأصدقاء؟

هل إذا صنع شخص ما معك إحساناً فهل تبادلته بالشر؟ أي هل تقابل الخير بالشر؟ وهل تعلم ما هي نتائج عملك هذا؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "من يجازي عن خيرٍ بشرٍ لن يُبرح الشرُّ من بيته". (أمثال ١٧: ١٣) أي أن نتائج هذا العمل السيء ستعكس على صاحبه، فيسود الشر بيته.

أما في العهد الجديد من الكتاب المقدس فنجد أن الرسول بولس يحثنا على فعل العكس أي مقابلة الشر بالخير، إذ نقرأ الآية المقدسة: "لاتجاوزوا أحداً عن شرٍّ بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس". (الرسالة إلى رومية ١٢: ١٧ و١٨) أي على الإنسان المسيحي الحقيقي أن يقابل الشر بالخير. فإذا أساء إليه أحدهم فعليه أن يقابل هذه الإساءة بالخير. وهنا يكشف له عن سلوك المحبة الحقيقية تجاهه. المحبة التي تحدثنا عن صفاتها قبل قليل. ويؤكد له أنه من أولاد الله الذين اختبروا محبته.

هل تعلم مستعصي أن انهيار العلاقات بينك وبين أي شخص آخر قد تبدأ بأمور بسيطة وتافهة للغاية ثم تتطور؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "ابتداء الخصام إطلاق الماء. فقبل أن تدفق المخاصمة تركها". (أمثال ١٧: ١٤) أي أراد هذا المثل القول: أن المشاجرات تبدأ باحتكاك طفيف جداً كقطرات تسيل من ثقب صغير في السدّ، فمن الحكمة معالجتها قبل أن تستفحل. فهل تراك تنتبه لهذا الأمر يا صديقي؟ فتسارع إلى حل الإشكالات الصغيرة وقبل أن تستفحل وتؤدي إلى انهيار علاقاتك مع الآخرين؟

لكن هل تدري مستمعي من هو الذي يحب الخصام والفرقة بين الناس؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "محبُّ المعصيةِ محبُّ الخصامِ. المعليُّ بابه يطلب الكسرَ" (أمثال ١٧: ١٩) أي أن الذي يسعى للخصام هو الذي يطلب الشر ويعمل من أجله، ولهذا يشبهه كالذي يعليُّ بابه ساعياً نحو الكسر.

نلاحظ يا صديقي أن معظم هذه الأمور التي تحدثنا عنها في هذا اللقاء، كستر المعصية انطلاقاً من المحبة، وعدم مجازاة الخير بالشر بل الشر بالخير، ومحاولة إنهاء الخصام في بدايته، تنطلق من مبدأ المحبة. فإذا كنا نملك المحبة فإننا نستطيع العمل في هذا الاتجاه السليم. لكن كيف بإمكاننا الحصول على فضيلة المحبة؟ وهل من الممكن لنا كأنا كخطاة أن نمتلك صفة المحبة؟

هل تعلم مستمعي من هو مصدر المحبة؟ إنه بالطبع الله الذي هو محبة. أي علينا إذا أردنا أن نمتلك المحبة في حياتنا أن تكون لنا صلة حقيقة مع الله تعالى. لقد أظهر الله محبته لنا نحن البشر الخطاة بأن أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب فداء لخطايانا، وليزرع فينا بذرة المحبة. فهل تأتي مستمعي إلى الله المحب مؤمناً بالمخلص المسيح؟ وهكذا تختبر المحبة الحقة في حياتك وتصبح بالتالي محباً للآخرين؟